مجلة المرابط

العدد : ٢٠٢ الموافق في جمادى الأولى ١٤١٩ هجري ١٩٩٨/٩ ميلادي

عنوان المقال : يا أيها المسلمون في الغرب	بقلم : الأستاذ عصام العطار

بينَ يديَّ رسالة من أخ فاضل حديث العهد بأوروبا ، يشكو إليَّ فيها ما يعانيه حيثُ يقيم ، وما يعانيه معه كثير من المسلمين ، في حياتهم الاجتماعية العادية ، وفي علاقاتهم بالسلطات الرسمية المحلية والأمنية - أحياناً - من مشكلاتٍ ومضايقات...

ويقول الأخ الكريم فيما يقول :

- أكثر الناس هنا ينظرون إلى المسلمين نظرةَ خوفٍ وشكٍّ وحذر ، فينكمشون عن صحبتهم ، ولا يرتاحون لجوارهم في السكن ، ولا لأبنائهم في المدرسة ، ولا لمخالطتهم في ألوان من النشاط الاجتماعي والإنساني ، وربما نظروا إليهم نظرةَ استعلاء أو احتقار مستور أو مكشوف !... »

وهذا الذي يذكره الأخ الكريم شيءٌ قائم في أوروبا ، قد تختلف نسبته ودرجته من بلد إلى بلد ، ومن شخص إلى شخص ، ومن حال إلى حال ، وهو أمر محزن لمسلم أجنبيّ غريب قادته خطاه إلى هذه البلاد ، أو ألجأته إليها الظروف ، فليس له عنها مَنْأىً ولا مُتَحوَّلٌ لو أراد أن يَتَّبع نصيحة " الشَّنْفَرى " في « لامِيَّةِ العَرَب » :

وفي الأرض مَنْأىً لِلكَريم عن الأذى وفيها لِمَنْ خافَ القِلى مُتَحــوَّلُ

- إذا لم تُعجبك هذه الحال فارجع إلى بلدك إن شئت ! هكذا يُقالُ لبعض من يُكثر الشكوى والتذمر والاحتجاج !!

وكيف يرجعُ إلى بلده من ينتظرُه في بلده الموتُ أو العذابُ والسجن - إن كان لاجئاً - ؟! والفقرُ والجوعُ والبطالة - إن كان مِمّن شرّده عن وطنه الحاجة ؟!

❋ ❋ ❋

أنا شديدُ الألم لما يُعانيه الأخ الكريم ، وما يعانيه معه كثيرٌ أو قليل من المسلمين ؛ ولكنني - رغم ذلك ، ومع شجبي لذلك - أحبّ أن أقول : إنه أمرٌ غيرُ مُسْتَغْرَب عند من يعرفون أطوارَ النفس البشريةِ ، وطبائعَ الأمم والشعوب ، ويستوعبون دروسَ التاريخ ، وما يقدّمه من عِبَر :

نحن جسم غريب - إلى حدٍّ بعيد - في الدول الغربية ، والمجتمعات الغربية ، وأكثرُ سكان هذه الدول لا يعرفون من نحن ، ولا ما نحن ، وإلى أيّ حد يمكن أن يطمئنوا إلينا ويقتربوا منا ، أو يرتابوا فينا ويبتعدوا عنا...

والجهلُ بالشيء هو مَدْعَاةٌ إلى الخوف منه ، والحَذَرِ منه - إن لم أقل إلى النفور والعداء -

وذاكرةُ الغربِ التاريخية لا تدعوه إلى الارتياح لنا ، والاطمئنان لوجودنا ، والترحيب بنا...

تعودُ ذاكرةُ بعضهم إلى الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ، وما حلّ بدولة الروم النصرانية على أيدي المسلمين

وتعودُ ذاكرةُ كثيرين ، بوضوح أو بغموض ، إلى عهود الحروب الصليبية ، والتهديد الإسلاميّ لأوروبا ، وفتح الأندلس ، وفتح القسطنطينية...

وما غاب عن الذاكرة والشعور لم يغب عن الحضور والتأثير في اللاشعور...

وصورةُ المسلمين هذه الأيام من خلال واقع المسلمين الراهن ، ومن خلال ما يُذْكرُ عنهم أو يُنْسَب إليهم بالحقّ وبالباطل في وسائل الإعلام... ليست هي بالصورة الجميلة المشرِّفة التي تبعث على الثقة والاطمئنان ، والعشق والغرام ، والإعجاب والاحترام !!

ونحن المسلمين الذين نعيش في الغرب - ولا تؤاخذوني على صراحتي - لسنا ملائكة معصومين ؛ بل إنّ منّا لَمن يُسيءُ بأخلاقِه وسلوكه وأعماله أقبحَ الإساءة إلى الإسلام والمسلمين !!

❋ ❋ ❋

ما العملُ إذن ؟

هل هذا هو قدرنا الذي لا فَكاكَ لنا منه ، والذي ينبغي أن نرضى به ونصبر عليه ؟!

كلاَّ أبداً ، فهذا الواقع - وكلُّ واقع رديء - يمكن أن يتغيّر ؛ بل يجب أن يتغيّر ، فالإسلامُ لا يرضى لأبنائه هذا الواقع ، والمسلمُ المخلص الصادق الواعي لا يرضاه بحال من الأحوال

ولكن يجب أن نعلم أنه لا تُنالُ الغايات بالأماني ، فلا بدّ للتغيير مِنْ : علمٍ وفكر وتخطيط ، وإرادةٍ وعمل وصبر ، وتضافرٍ لجميع الجهود المخلصة الخَيِّرة في هذا السبيل

وهاكُم بعضَ أمثلةٍ لما يمكن أن نقوم به ويجب أن نقوم به :

أن نساعد من نقيم بين أظهرهم على معرفةِ الإسلام ، وعلى معرفتنا على حقيقتنا ، لندفع عنهم ما يُوَلِّده الجهل من دواعي الخوف والحذر والنفور والعداء.

عنوان المقال : يا أيها المسلمون في الغرب	بقلم : الأستاذ عصام العطار

وهذه المهمّة ليست مهمّة عِلمية ثقافية فقط ، فالغربُ لا يأخذنا من خلال كلماتنا وكتاباتنا وشعاراتِنا وحدها ؛ وإنما يأخذنا من خلال واقعنا الملموس وأخلاقنا وتصرفاتنا العملية ؛ وبالتالي فكل مسلم مهما كان موقعه ومستواه مَدْعوٌّ إلى أن يُؤدّيَ دورَه في هذا التعريف ، بسلوكه قبل كلامه ، وبأحسن صورةٍ ، وأفضل أسلوب.

الجارُ المسلم يجب أن يُؤَدّيَ دورَه بين جيرانه ، وأن يجد طريقه إلى ثقتهم ومحبتهم واحترامهم

والعاملُ المسلم ، والطالبُ المسلم ، والمعلّمُ المسلم ، والطبيبُ المسلم والتاجرُ المسلم والبائعُ المسلم... كلٌّ يجب أن يُؤدّي دورَه بغاية الأمانة والإنسانية والإتقان.

والمسلم في الطريق أو السوق أو المطعم أو الحديقة العامّة أو المطار أو محطة القطار أو أيّ مكان آخر... يجب أن يعطي بمظهره وصفاته وتصرفاته صورة جميلة كريمة عن الإسلام تدعو إلى المحبة والاحترام.

ويجب أن ترى المجتمعات الغربية وجه الإسلام الواضح المشرق النبيل في مؤسّساتٍ خيريّة ، وخدماتٍ اجتماعيّة ، ومواقفَ إنسانيّة ، ومناسباتٍ علميّة وثقافيّة...

وإذا قُدِّر للمسلمين في بلاد الغرب أن يلتزموا جادين بإسلامهم ، ويشعروا صادقين بمسؤوليتهم ، ويتقدموا من خلال الزمن في مختلف مجالات الحياة العلميّة والفكريّة والثقافيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والمهنيّة والعمليّة... ، وأن يكون منهم أساتذةُ جامعات ، ومديرو أو أركان ، مُؤسّسات ، ورواد في تحقيق حاجاتِ المجتمعاتِ المشروعة ، وأن يُعْرفوا بصدق القول ، واستقامةِ المعاملة ، وحُسْنِ المعاشرة ، ونظافةِ الحياة والتصرفات ، وإنسانيّةِ الفكر والعمل... فسيكون لهم في الغرب مكان أيُّ مكان ، وتأثيرٌ أيُّ تأثير ، وسيتحوَّلُ الإعراضُ عنهم إلى إقبال ، والاحتقارُ الظاهرُ أو المستورُ إلى إكبار.

❋ ❋ ❋

قلنا يجب أن يصل الإسلام الحقُّ إلى المجتمعات الغربية التي نعيش فيها من خلالنا نحن المسلمين : من خلالِ أخلاقِنا وسلوكنا وأسلوب تعاملنا مع غيرنا ، وما نقدّمه في ذلك كله من نموذج جميل ، ومن خِلال ما نقول ونكتب ونحاضر ونخطب...

وهذا الواجب الواجب يضعنا أمام عَدَدٍ من الواجبات منها :

- أن نُوَفِّرَ لجميع المسلمين - إن قدرنا - حدّاً أدنى من العلم والمعرفة الإسلامية والثقافة العامة :

علمٌ بما هو فرضُ عَيْنٍ عليهم ، وما هو فرضُ كِفاية بهذه البلاد ؛ ومعرفةٌ بأسُس الإسلام ومعالمِه الكبرى ، وبالأخلاق والآدابِ الإسلاميةِ الفرديةِ والاجتماعية ، وكيف يكون التعامل مع المسلمين وغير المسلمين في البلد الذي يعيشون فيه ، وثقافةٌ عامة تُعرِّفُهم بالبلاد التي أتوا إليها ، وبطبائع وعادات ومعتقدات أهلها ، وبما يحسن أو لا يحسن في مخالطتهم والتعامل معهم.

وإذا كنا نريد للمسلمين في الغرب أن يؤدّوا رسالةً من خلال سُلوكِهم وتواصُلِهم مع غيرهم ؛ فلا بدَّ أن نهيِّئ أداةَ التواصلِ : اللغة ؛ لُغَة البلد التي يعيشون فيها ، أو حَدّاً أدنى منها على الأقل ، وإلاّ قام بينهم وبين أهل البلاد سَدٌّ لا يُخْتَرق ، ولعبت على جانِبَي السدِّ الأوهامُ والظنون.

وإذا كان لا بد من حدٍّ أدنى من اللغة لعامة المسلمين ، فلا بدّ من حدٍّ أعلى - إن كان للأعلى حدود - من اللغة العلميّة والفكريّة والأدبيّة والاصطلاحيّة في مختلف المجالات ، ومن الثقافة العميقة المتنوعة الشاملة لنُخَبٍ من المسلمين يَفْهمون بها الغرب فَهْماً حقيقيّاً بمختلف جوانب حياته الداخليّة والخارجيّة : المعنويّة والماديّة ، ويُفْهمونَ بها الغرب بمختلف شرائحه ومذاهبه وطبقاته ومستوياته - إن أمكن - بالعلم المتين ، والمنطق السديد ، والعاطفة الصادقة ، والحجة الظاهرة ، والطريقة المناسبةِ رسالة الإسلام وقضايا المسلمين.

❋ ❋ ❋

ويجب أن نكون مُنصفين ؛ فهذا الغرب الذي ننقده ونهاجمه ، ونشتكي منه بحقٍّ في كثير من الأحيان ، يقدِّم لنا - نحن الذين نعيش فيه مختارين أو مضطرّين - من الحريّة ، والكرامة الإنسانيّة ، والضمانات الاجتماعيّة والقانونيّة : الماديّة والمعنويّة ، وفُرص التقدّم العلميّ والعمليّ... ما لا تقدّمه بلادنا العربيّة والإسلاميّة مع الأسف الشديد الشديد الشديد !!!

فإذا لم نحسن الاستفادة من هذه الفرص والظروف في الارتقاء بأنفسنا على كل صعيدٍ إلى أعلى ما يمكن أن يكون ، وفي خدمة الإسلام والمسلمين والإنسانية والإنسان ، فالذنبُ ذنبنا والعيْبُ عيبُنا والقصورُ قصورُنا ، والمسؤوليّة مسؤوليّتُنا فيما نلقاه - أو قد نلقاه - في هذه البلاد ، وعلى امتداد العالم كلّه من عَنتٍ وظلمٍ وهوان.

والغربُ ، في مُعْظَم دُوَلِه ، يُوَفّر لنا على درجات مختلفة من السَعةِ والضيق ، واليُسْرِ والعُسْرِ ، من الحريّة الدينيّة ما يحفظ لنا عقائدَنا ، ونُمارسُ به شعائرَنا ، ونقيمُ به مساجدَنا ومراكزَنا ، ونَعيشُ به - فِعْلاً وتَرْكاً - إسلامَنا ؛ إلاّ مسائلَ محدودة هي في بعض الدول أو المناطق موضعُ خلافٍ وأخذٍ وردّ ، ونحن نملك في هذا الخلاف كامل حريتنا وحقّنا في المطالبة بحقنا ، نلجأ إلى القضاء إذا شئنا ، وإلى الصحافة والرأي العام ، وإلى كلّ طريق مشروع ، لا يعترضُنا دونَ ذلك مُعترض ، ولا يُنكر علينا حقنا فيه أحد.

وأنا أظنّ أنّنا إذا استطعنا من خلال العمل والزمن أن نجعل الناس في الغرب ، على المستوى الرسميّ والشعبيّ ، أكثرَ معرفةً بالإسلام الحقّ وبنا ، وأكبرَ ثقةً واطمئناناً إليه وإلينا ، وبرزت عناصرُ منّا ذاتُ أمانةٍ وكفاءة وجاذبيّة وتأثير إلى سطح المجتمعات الغربيّة على كلّ صعيد... أنا أظنّ أنّ ذلك سيسهم إسهاماً حاسماً في حلّ مشكلاتنا ، وفي توفير الشروط التي تمكننا من الحياة الإسلامية بصورة أكمل وأفضل.

❋ ❋ ❋

ولا بدّ لي من الإشارة هنا إلى أنّ ملايين المسلمين في الغرب يحملون جنسيّات عدد من دوله ، لهم ما لبقيّة المواطنين من حقوق ، وعليهم ما عليهم من واجبات ، فضلاً عن ملايين أخرى يقيمون في الغرب إقامة دائمة أو موقتة

عنوان المقال : يا أيها المسلمون في الغرب	بقلم : الأستاذ عصام العطار

وأنا أدعو هؤلاء المسلمين جميعاً إلى القيام بواجباتهم في الغرب في حدود إسلامهم ، كما يأخذون حقوقَهم أو يطالبون بحقوقهم ، وأن يكون لهم في مجتمعاتهم ، وفي مجالات عملهم ، دورٌ إيجابيٌّ فعّال ، يحبب الناس - أو المنصفين من الناس - بهم ، ويدعوهم إلى محبتهم وتقديرهم ، وعونهم ومساعدتهم ، ولم تخل هذه البلاد قط من منصفين أخيار ، ولن تخلو هذه البلاد ، ولن يخلو العالم كلُّه ، من المنصفين الأخيار.

يا أيّها المسلمون في الغرب استمعوا إلى هذه الكلمات :

إنّ أوضاعَكم وأحوالَكم ، بل إنّ مصيرَكم ، ومستقبلَ عقائدِكم وقِيَمِكُم ، وأُسركم وأبنائكم في الغرب... يتوقف عليكم أنتم بالدرجة الأولى.

إمّا أن ترتفعوا بإخلاصكم ووعيكم ، وشعوركم بمسؤوليّتكم ، وجدِّكم واجتهادكم ، وصبركم وتضحياتكم ، إلى مستوى واجباتكم وعالمكم وعصركم ، فتحققوا بذلك النجاح لأنفسكم وأسركم وأبنائكم ، وللإسلام والمسلمين.

وإما أن تُضيعوا هذه الفرصة التاريخيّة فلا تُعطوها حقّها ، فتكونوا بذلك وَبَالاً على أنفسكم وأسركم وأبنائكم ، وعلى الإسلام والمسلمين في كلّ مكان !

{ **وقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُم ورَسُولُهُ والمؤمنونَ وسَتُرَدُّونَ إلى عَالِمِ الغَيبِ والشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بما كُنتم تَعْمَلُون** }.